# ( ١ )

# اللهو والترويح بالفكاهة والمرح والإضحاك

# الدين والضحك والمرح

وُجّه إليّ منذ سنوات سؤال مهم عن موقف الدين من الضحك والمرح والمـزاح . قال السائل :

هل يجوز للمسلم أن يضحك ويمزح ، ويفرح ويمرح ، وتصدر عنه النكات والطرائف والمُلَح ، بالقول أو بالفعل ، فيُضْحِك الآخرين ؟

إن بعض الناس تكونت لديه فكرة : أن الدين يحرم على الإنسان الضحك والمزاح والتنكيت والمداعبة ، ويفرض عليه الجد والصرامة في كل أحواله . ويؤيدون هذا الاعتقاد بأمرين :

**الأول** : موقـف كـثير مـن المتـدينين ، أو المتحمسـين للـدين ، حيـث لا يـرى أحدهم إلا مقطب الجبين ، عبوس الوجه ، متجهمًا عند اللقاء ، خشنًا في الكلام ، فظًا في المعاملة مع الناس ، وخصوصًا غير المتدينين .

**والثـــاني** : بعـض النصـوص ، الـتي قرأوهـا أو سمعوهـا مـن بعـض الوعـاظ والخطباء ، ففهموا منها أن الإسلام لا يرحب بالضحك والفرح والمزاح ، مثـل حـديث « لا تكثر من الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب » [(١)] .

وحديث : « ويل للذي يحدث الحديث ليضحك به القوم ، فيكذب ، ويل له ، ويل له » [(٢)] . !

وحديث وصف النبي ﷺ بأنه : « كان متواصل الأحزان » [(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٨٠٩٥) وقال محققو المسند : حديث جيد ؛ وهـذا إسنـاد ضعيـف لجهـالة أبي طارق . ورواه البخـاري في الأدب المفـرد (٢٥٢ - ٢٥٣) وابـن ماجـه (٤١٩٣ - ٤٢١٧) عـن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في « الصحيحة » برقم (٥٠٦) و (٩٣٠) .

(٢) رواه أحمد (٢٠٠٢١ ، ٢٠٠٤٦) وقال مخرجو المسند : إسناده حسن . وأبو داود والترمذي وحسنه عن معاوية بن حيدة ، كما حسنه الألباني في «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» (٣٧٦) .

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١ / ٤٢٢) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢ / ١٥٥) والحاكم (٣ / ٤٦٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١ / ٢٨٥) وفي «شعب الإيمان» (١٣٦٢) من حديث هند بن أبي هالة ، وإسناده ضعيف ، وضعفه الألباني في «الشمائل المحمدية» (٦) ، وفي فقه السيرة (٢٠٢) .

وقوله تعالى على لسان قوم قارون له :﴿ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ ﴾ [القصص:٧٦]

وحسب قراءتي ومعلوماتي عن الإسلام ـ وهي محدودة ـ أعتقد أن هذا ظلم للإسلام الذي جاء بالاعتدال في كل شيء .

فالرجاء توضيح موقف الإسلام في هذه القضية ، مؤيدًا بالأدلة الشرعية . نفع الله بكم ، وجزاكم خيراً .

## الإنسان حيوان ضاحك :

وقد أجبت السائل بما يلى : (١)

الضحك من خصائص الإنسان ، فالحيوانات لا تضحك ؛ لأن الضحك يأتي بعد نوع من الفهم والمعرفة لقول يسمعه ، أو موقف يراه ، فيضحك منه .

ولهذا قيل : الإنسان حيوان ضاحك ، ويصدق القول هنا : أنا أضحك ، إذن أنا إنسان .

والإسلام ـ بوصفه دين الفطرة ـ لا يتصور منه أن يصادر نزوع الإنسان الفطري إلى الضحك والمرح والانبساط ، بل هو على العكس يرحب بكل ما يجعل الحياة باسمة طيبة، ويحب للمسلم أن تكون شخصيته متفائلة باشّة ، ويكره الشخصية المكتئبة المتطيرة ، التي لا تنظر إلى الحياة والناس إلا من خلال منظار قاتم أسود .

## حاجة الإنسان إلى اللهو :

على أن حاجة الإنسان السوي إلى اللهو حاجة فطرية . ونجيب الذين اعترضوا على حِل الألعاب المختلفة بأنها لهو ، وهو مذموم ، بما أجاب الإمام الغزالي عمن قال : إن الغناء لهو ولعب . بقوله : (هو كذلك ، ولكن الدنيا كلها لهو ولعب ... وجميع المداعبة مع النساء لهو ، إلا الحراثة التي هي سبب وجود الولد ، وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال ، نُقِلَ ذلك عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة .

---

(١) راجع أصل هذه الفتوى فى كتابنا : فتاوى معاصرة (٢ / ٤٨٩ - ٥٠٢) ط : المكتب الإسلامى ٢٠٠٠م . وقد أضفنا إليها هنا مزيدًا من التدليل والتأصيل والتفصيل .

وأي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم ، فقد ثبت بالنص إباحته . على أني أقول : اللهو مروح للقلب ، ومخفف عنه أعباء الفكر ، والقلوب إذا أكرهت عميت ، وترويحها إعانة لها على الجد ، فالمواظب على التفكر مثلاً ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة ؛ لأن عطلة يوم تساعد على النشاط في سائر الأيام ، والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ، ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات ، فالعطلة معونة على العمل ، واللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض ، والحق المر ، إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام ، فاللهو دواء القلب من داء الإعياء ، فينبغي أن يكون مباحًا ، ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه ، كما لا يستكثر من الدواء . فإذًا اللهو على هذه النية يصير قربة ، هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها ، بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة ، فينبغي أن يستحب له ذلك ، ليتوصل به إلى المقصود الذي ذكرناه . نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال ، فإن الكامل هو الذي لا يحتاج أن يُروِّح عن نفسه بغير الحق، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، ومن أحاط بعلم علاج القلوب ، ووجوه التلطف بها ، وسياقتها إلى الحق ، علم قطعًا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه) انتهى كلام الغزالي[1]، وهو كلام نفيس يعبر عن روح الإسلام الحقّة .

ومن الناس من استدل بقوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ [لقمان:٦] على أن كل لهو حرام .

وهذا غير صحيح ، لأن الآية الكريمة لم تذم اللهو في ذاته ، وإنما ذمّت من يشتري اللهو ليضل عن سبيل الله ، ويتخذها هزوا ، فالمذموم هنا هو المقصود من وراء اللهو ، وليس اللهو ذاته [2].

---

(١) الإحياء : كتاب السماع (ج٢ صـ ١١٥٢ ، ١١٥٣) . طبعة الشعب ـ بمصر .

(٢) رددنا على هذا الاستدلال بتفصيل في كتابنا : (فقه الغناء والموسيقى) صـ ٢٩ وما بعدها .

يؤيد هذا أن القرآن قرن اللهو بالتجارة ـ وهي مشروعة قطعا ـ كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الجمعة:١١] .

**رسول الله هو الأسوة :**

وأسوة المسلمين في ذلك هو : رسول الله ﷺ فقد كان ـ برغم همومه الكثيرة والمتنوعة ـ يمزح ولا يقول إلا حقّا ، ويحيا مع أصحابه حياة فطرية عادية ، يشاركهم في ضحكهم ولعبهم ومزاحهم ، كما يشاركهم آلامهم وأحزانهم ومصائبهم .

يقول زيد بن ثابت ، وقد طُلِب إليه أن يحدثهم عن حال رسول الله ﷺ فقال : كنت جاره ، فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إليّ فكتبته له ، فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، وقال : فكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ ؟ (١)

وقد روي وصفه من بعض أصحابه بأنه كان من أفكه الناس (٢).

وقد رأيناه في بيته ﷺ يمازح زوجاته ويداعبهن ، ويستمع إلى أقاصيصهن ، كما في حديث أم زرع الشهير في صحيح البخاري (٣) .

وكما رأينا في تسابقه مع عائشة رضي الله عنها ، حيث سبقته مرة ، وبعد مدة تسابقا فسبقها ، فقال لها :« هذه بتلك » ! (٤) أي (تعادل) بلغة الكرة اليوم ! وأذكر أني كنت أدرس لطالباتي في جامعة قطر (السيرة النبوية) وذكرت لهم القصة ، وقلت لهم: ماذا تقولون لو رأيتموني مرة أتسابق في العَدْو مع زوجتي ؟ ستقولون : جُنَّ الشيخ !

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» وفي «الأوسط» (٨ / ٣٠١) بإسناد حسن كما في مجمع الزوائد (٩ / ١٧) . وضعفه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (٢٩٤) .

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦ / ٢٦٣) وفي «المعجم الصغير» (٢ / ١١٢) من حديث أنس بن مالك ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٤٤٨٨) .

(٣) رواه البخاري في كتاب النكاح (٥١٨٩) ومسلم في كتاب الفضائل (٢٤٤٨) عن عائشة .

(٤) رواه أحمد (٢٤١١٨ ، ٢٤١١٩) وقال مخرجو المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين . وأبو داود (٢٥٧٨) وابن ماجه (٢٠١٠) عن عائشة .

وقد روي أنه وطأ ظهره لسبطيه الحسن والحسين ، في طفولتهما ليركبا ، ويستمتعا دون تزمت ولا تحرج ، وقد دخل عليه أحد الصحابة ورأى هذا المشهد فقال : نعم المركب ركبتما ! فقال عليه الصلاة والسلام : « ونعم الفارسان هما » ! [1]

وفي رواية : أنه ﷺ كان يرفع الحسن بن علي برجليه فيقول له : « حُزُقَّة تَرَقَّ عين بَقَّة [2] » [3] .

وفي رواية عند الطبراني : عن أبي هريرة قال : سمعت أذناي هاتان ، وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعا ، حسنا أو حسينا ، وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ ، وهو يقول : « حُزُقَّة حُزُقَّة ارَقَّ عين بَقَّة » ، فيرقى الغلام حتى يضع قدمه على صدر رسول الله ﷺ ثم : قال له : « افتح فاك » ، قال : ثم قبله ، ثم قال : « اللهم أحبه ، فإني أحبه » [4] .

ورأيناه يمزح مع تلك المرأة العجوز التي جاءت تقول له : ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال لها : « يا أم فلان ، إن الجنة لا يدخلها عجوز » ! فبكت المرأة حيث أخذت الكلام على ظاهره ، فأفهمها : أنها حين تدخل الجنة لن تدخلها عجوزًا ، بل شابة حسناء . وتلا عليها قول الله تعالى في نساء الجنة : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً ﴾ [الواقعة:٣٥-٣٧] [5] .

---

(١) رواه الحاكم (٣ / ١٧٠) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي بقوله : لا . وأخرجه أبو يعلى عن ابن عمر . وقال الهيثمي : رواه أبو يعلى في الكبير ورجاله رجال الصحيح ، ورواه البزار بسند ضعيف . انظر : مجمع الزوائد (٩ / ١٨١) .

(٢) الحزُقَّة : المقارب الخطى ، والقصير الذي يقرب خطاه . وعين بَقَّة : أشار إلى البقة التي تطير ، ولا شيء أصغر من عينها لصغرها .

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٦ / ٣٨٠) وعبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة (٢ / ٧٨٧) .

(٤) رواه الطبراني في الكبير(٣ / ٤٩) . قال الهيثمي : رواه الطبراني وفيه أبو مزرد ولم أجد من وثقه ، وبقية رجاله رجال الصحيح ( ٩ / ١٧٦) . وذكره الألباني في « ضعيف الأدب » (٤٠) .

(٥) أخرجه الترمذي في « الشمائل » (٢ / ٣٩) ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي في البعث (٢ / ٦٧ / ٢) وغيرهم ، وحسنه الألباني في : « غاية المرام » (٣٧٥) . ثم صححه في « السلسلة الصحيحة » (٢٩٨٧) .

وجاء رجل يسأله أن يحمله على بعير ، فقال له عليه الصلاة والسلام : « إنا حاملوك على ولد الناقة » ! فقال : يا رسول الله ، وماذا أصنع بولد الناقة ؟ ! ـ انصرف ذهنه إلى الحُوار الصغير ـ فقال : « وهل تلد الإبل إلا النوق » ؟ [1]

وقال زيد بن أسلم : إن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : إن زوجي يدعوك ، قال : « ومن هو ؟ أهو الذي بعينه بياض » ؟ قالت : والله ما بعينه بياض فقال : « بلى إن بعينه بياضا » فقالت : لا والله ، فقال ﷺ : « ما من أحد إلا بعينه بياض » [2] وأراد به البياض المحيط بالحدقة .

وقال أنس : كان لأبي طلحة ابن يقال له : أبو عُمَيْر ، وكان رسول الله ﷺ يأتيهم ويقول : « يا أبا عُمَيْر ما فعل النُّغَيْر » ؟ [3]. لنغير كان يلعب به ، وهو فرخ العصفور .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة ، فصنعت حريرة ـ دقيق يطبخ بلبن أو دسم ـ وجئت به ، فقلت لسودة : كلي ، فقالت : لا أحبه ، فقلت : والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك ، فقالت : ما أنا بذائقته ، فأخذت بيدي من الصحفة شيئًا منه فلطخت به وجهها ، ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها ، فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئًا فمسحت به وجهي ! وجعل رسول الله ﷺ يضحك [4] .

وروي أن الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلاً دميمًا قبيحًا ، فلما بايعه النبي ﷺ قال : إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء ـ وذلك قبل أن تنزل آية

---

(١) رواه أحمد (١٣٨١٧) عن أنس وقال : حسن صحيح ، ورواه أبو داود (٤٩٩٨) والترمذى (١٩٩١) وصححه الألباني في «الشمائل المحمدية» (٢٠٢) .

(٢) أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح ، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة ابن سهم الفهري مع اختلاف ، كما ذكر العراقي في تخريج الإحياء .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب (٦١٢٩) ومسلم في كتاب الآداب (٣١٥٠) عن أنس .

(٤) أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد كما في تخريج الإحياء . وأورده الهيثمى فى «المجمع» بنحو منه وقال : رجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن (٤ / ٣١٦) .

الحجاب ـ أفلا أنزل لك عن إحداهن فتتزوجها ؟ ! وعائشة جالسة تسمع ، فقالت : أهي أحسن أم أنت ؟ فقال : بل أنا أحسن منها وأكرم ، فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه ؛ لأنه كان دميمًا [١] .

وكان ﷺ يحب إشاعة السرور والبهجة في حياة الناس ، وخصوصًا في المناسبات السائدة مثل : الأعياد والأعراس .

ولما أنكر الصديق أبو بكر رضي الله عنه غناء الجاريتين يوم العيد في بيته وانتهرهما ، قال له : « دعهما يا أبا بكر ، فإنها أيام عيد » [٢] ! وفي بعض الروايات : « إن لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا » [٣] .

وقد أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده عليه الصلاة والسلام في أحد أيام الأعياد ، وكان يحرضهم ويقول : « دونكم يا بني أرفدة » [٤] !

وأتاح لعائشة أن تنظر إليهم من خلفه ، وهم يلعبون ويرقصون ، ولم ير في ذلك بأسًا ولا حرجًا .

كما أتاح لها أن تلعب بالبنات (اللُّعب) مع صويحباتها .

واستنكر يومًا أن تزف فتاة إلى زوجها زفافًا صامتًا ، لم يصحبه لهو ولا غناء ، وقال : « ما كان معها لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو » [٥] . وفي بعض الروايات : « هلا بعثتم معها من تغني وتقول : أتيناكم أتيناكم .. فحيونا نحييكم » [٦] .

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلاً أو معضلاً ، وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري في كتاب العيدين (٩٤٩) ومسلم في كتاب صلاة العيدين (٨٩٢) عن عائشة .

(٣) متفق عليه عن عائشة كما في اللؤلؤ والمرجان (٥١٢) .

(٤) متفق عليه عن عائشة كما في اللؤلؤ والمرجان (٥١٣) ، رواه البخاري في كتاب العيدين (٩٥٢) ومسلم في كتاب صلاة العيدين (٨٩٢) .

(٥) رواه البخاري في كتاب النكاح (٥١٦٢) عن عائشة .

(٦) رواه أحمد (١٥٢٠٩) عن جابر ، وقال مخرجو المسند : حسن لغيره . ورواه ابن ماجه (١٩٠٠) والنسائي في الكبرى (٥٥٦٦) وحسنه الألباني في « إرواء الغليل » برقم (١٩٩٥) .

وقد ذكر الإمام الغزالي في كتاب (الإحياء) [1] أحاديث غناء الجاريتين ، ولعب الحبشة في مسجد النبي ﷺ وتشجيع النبي لهم بقوله : « دونكم يا بني أرفدة » . وقول النبي لعائشة : « تشتهين أن تنظري » ؟ ، ووقوفه معها حتى تمل هي وتسأم ، ولعبها بالبنات مع صواحبها ، ثم قال : فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين ، وهي نص صريح في أن الغناء واللعب ليس بحرام ، وفيها دلالة على أنواع من الرخص :

الأول : اللعب ، ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب .

والثاني : فعل ذلك في المسجد .

والثالث : قوله ﷺ : « دونكم يا بني أرفدة » وهذا أمر باللعب ، والتماس له ، فكيف يقدر كونه حراما ؟

والرابع : منعه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتعليل والتغيير ، وتعليله بأنه يوم عيد ، أي وقت سرور ، وهذا من أسباب السرور .

والخامس : وقوفه طويلا في مشاهدته ذلك وسماعه ، لموافقة عائشة رضي الله عنها ، وفيه دليل على أن حُسْن الخلق في تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع عنه .

والسادس : قوله ﷺ لعائشة ابتداء : « أتشتهين أن تنظري » ؟

والسابع : الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين ... إلى آخر ما قاله الغزالي في كتاب السماع .

## الصحابة على هدي رسول الله :

وكان أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان في خير قرون الأمة يضحكون ويمزحون ، اقتداءً بنبيهم ﷺ واهتداء بهديه . حتى إن رجلاً مثل عمر بن الخطاب ـ على ما عرف عنه من الصرامة والشدة ـ يُروى عنه أنه مازح جارية له ، فقال لها :

---

(١) في كتاب السماع من ربع العادات (٢ / ٢٨٤) .

خلقني خالق الكرام ، وخلقك خالق اللئام ! فلما رآها ابتأست من هذا القول ، قال لها مبينًا : وهل خالق الكرام واللئام إلا الله عز وجل ؟ ؟

وقد عرف بعضهم بذلك في حياته ﷺ ، وأقره عليه ، واستمر على ذلك من بعده ، وقبله الصحابة ، ولم يجدوا فيه ما ينكر ، برغم أن بعض الوقائع المروية في ذلك لو حدثت اليوم لأنكرها معظم المتدينين أشد الإنكار ، وعدوا فاعلها من الفاسقين أو المنحرفين !

## الصحابة الفكاهيون (الكوميديون) :

من هؤلاء المعروفين بروح المرح والفكاهة والميل إلى الضحك والإضحاك والمزاح : النعيمان بن عمر الأنصاري ، رضي الله عنه ، الذي رويت عنه في ذلك نوادر عجيبة وغريبة .

وقد ذكروا أنه كان ممن شهد العقبة الأخيرة ، وشهد بدرًا وأُحدًا ، والخندق ، والمشاهد كلها . ومعنى هذا : أنه من السابقين الأولين من الأنصار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، كما ذكرت سورة التوبة [1] .

روى عنه الزبير بن بكار عددًا من النوادر الطريفة في كتاب (الفكاهة والمرح) نذكر بعضًا منها :

قال : وكان لا يدخل المدينة طُرفَةٌ إلا اشترى منها ، ثم جاء بها إلى النبي ﷺ ، فيقول : هذا أهديته لك ، فإذا جاء صاحبها يطلب نعيمان بثمنها ، أحضره إلى النبي ﷺ ، قائلا : أعط هذا ثمن متاعه ، فيقول : «أو لم تهده لي» ؟ فيقول : إنه والله لم يكن عندي ثمنه ، ولقد أحببت أن تأكله ! فيضحك ، ويأمر لصاحبه بثمنه [2] .

---

(١) أي في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤ / ٩٠) ، وابن حجر في «الإصابة» (٦ / ٤٦٤) .

وأخرج الزبير قصة أخرى من طريق ربيعة بن عثمان قال : دخل أعرابي على النبي ﷺ ، وأناخ ناقته بفنائه ، فقال بعض الصحابة للنعيمان الأنصاري : لو عقرتها فأكلناها ، فإنا قد قرمنا [1] إلى اللحم ؟ ففعل ، فخرج الأعرابي وصاح : واعقراه يا محمد ! فخرج النبي ﷺ فقال : «من فعل هذا»؟ فقالوا : النعيمان ، فأتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، واستخفى تحت سرب لها فوقه جريد ، فأشار رجل إلى النبي ﷺ حيث هو فأخرجه فقال له : «ما حملك على ما صنعت»؟ قال : الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني بذلك ، قال : فجعل يمسح التراب عن وجهه ويضحك ، ثم غرمها للأعرابي [2] .

قال الزبير أيضا : حدثني عمي عن جدي قال : كان مخرمة بن نوفل قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة ، فقام في المسجد يريد أن يبول ، فصاح به الناس ، المسجد المسجد ، فأخذ نعيمان بن عمرو بيده ، وتنحى به ثم أجلسه في ناحية أخرى من المسجد ، فقال له : بل هنا . قال : فصاح به الناس ، فقال : ويحكم ، فمن أتى بي إلى هذا الموضع ؟ ! قالوا : نعيمان ، قال : أما إن لله عليّ إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت ! فبلغ ذلك نعيمان ، فمكث ما شاء الله ، ثم أتاه يومًا ، وعثمان قائم يصلي في ناحية المسجد ، فقال لمخرمة : هل لك في نعيمان . قال : نعم ، قال : فأخذ بيده حتى أوقفه على عثمان ، وكان إذا صلى لا يلتفت ، فقال : دونك ، هذا نعيمان . فجمع يده بعصاه ، فضرب عثمان فشجه ، فصاحوا به : ضربت أمير المؤمنين ، فذكر بقية القصة [3] .

ومن الطرائف أن صحابيًا آخر من أهل الفكاهة والمزاح ، استطاع أن يوقع نعيمان في بعض ما أوقع فيه غيره من (المقالب) كما في قصة سويبط بن حرملة

---

(١) القَرم : شدة شهوة اللحم حتى لا يصبر عنه .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤ / ٨٩) ، وابن حجر في «الإصابة» (٦ / ٤٦٥) .

(٣) ذكر هذه القصص الحافظ ابن حجر في ترجمة نعيمان من كتابه : «الإصابة» (٦ / ٤٦٣) وما بعدها نقلاً عن الزبير بن بكار في كتابه : «الفكاهة والمرح» .

معــه ، وكان ممن شهد بدرًا أيضًا ، قال ابن عبد البر في (الاستيعاب) [1] في ترجمة سويبط رضي الله عنه : وكان مزاحًا يفرط في الدعابة ، وله قصة ظريفة مع نعيمان وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، نذكرها لما فيها من الظرف ، وحسن الخلق .

وروى عن أم سلمة قالت : خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تجــارة إلى بصرى قبل موت النبي ﷺ بعام ، ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة ، وكانا قد شهدا بدرًا ، وكان نعيمان على الزاد ، فقال له سويبط ـ وكان رجلاً مزاحًا ـ : أطعمـني ، فقال : لا حتى يجيء أبو بكر رضي الله عنه ، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمروا بقوم فقال لهم سويبط : تشترون مني عبدًا ؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام ، وهو قائل لكم : إني حر ، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه ، فلا تفسدوا عليّ عبدي ، قالوا : بل نشتريه منك ، قال : فاشتروه منه بعشر قلائص ، قال : فجاءوا فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلاً ، فقال نعيمان : إن هذا يستهزئ بكم ، وإني حر ، لست بعبد ، قالوا : قد أخبرنا خبرك ! فانطلقوا به ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه ، فأخبره سويبط فأتبعهم ، فرد عليهم القلائص ، وأخذه ، فلما قدموا على النبي ﷺ أخبـروه قال : فضحك النبي ﷺ وأصحابه منها حولا [2] .

**موقف المتشددين :**

ومما لا يخفى : أنه كان في الصحابة رجال تتسم حياتهم بالجد والصرامة ، كما رأينا في موقف سيدنا أبي بكر حين أنكر الغناء في بيت عائشة رغم أن اليوم يوم عيد ، وقال قولته الشهيرة : أمزمور الشيطان في بيت رسول الله ؟ [3]

---

(١) انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ٦٩٠) .

(٢) رواه ابن ماجه في الأدب (٣٧١٩) وذكره الألباني في «ضعيف ابن ماجه» (٨١٥) وأخرجه ابن أبي شيبة . وأخرجه أبو داود الطيالسي والروياني فجعلا المازح هو النعيمان والمبتاع سويبطًا ، كما في ترجمته في «الإصابة» (٣ / ٢٢٢) .

(٣) رواه البخاري في كتاب العيدين (٩٤٩) ومسلم في كتاب صلاة العيدين (٨٩٢) من حديث عائشة .

وكما رأينا في موقف سيدنا عمر ، حتى أخذ الحصباء بيده ورمى بها الحبشة وهم يلعبون بحرابهم ، حتى زجره النبي ﷺ ، وقال : « دعهم يا عمر » .

ولا يزال الناس متفاوتين جد التفاوت في مثل هذه المواقف ، والإسلام يسعهم جميعا .

وأفضل المواقف بلا نزاع هو موقف النبي ﷺ ، الذي وسع هذه الألوان من اللهو ، برغم ما يحمل في صدره من هموم الدعوة والأمة .

ولا ريب أن هناك من الحكماء والأدباء والشعراء مَن ذَمّ المزاح ، وحذر من سوء عاقبته ، ونظر إلى جانب الخطر والضرر فيه ، وأغفل الجوانب الأخرى .

قال بعضهم : المزاح مجلبة للبغضاء ، مثلبة للبهاء ، مقطعة للإخاء .

وقيل : إذا كان المزاح أول الكلام كان آخره الشتم واللِّكام .

وسئل الحجاج بن الفرية عن المزاح ، فقال : أوله فرح ، وآخره ترح ، وهو نقائص السفهاء مثل نقائص الشعراء ، والمزاح فحل لا ينتج إلا الشر .

وقال مسعر بن كدام :

**أما المزاحة والمراء فدعهما خلقان لا أرضاهما لصديق**

وقيل : لا تمازح صغيرًا فيجترئ عليك ، ولا كبيرًا فيحقد عليك !

ونحوه قول الشاعر :

**فإياك إياك المزاح فإنه يجرّي عليك الطفل والدنس النذلا**

وقال عمر بن عبد العزيز ،رضي الله عنه : لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر .

وقيل : المِزاح يُبدي المهانة ، ويُذهب المهابة ، والغالب فيه واتر ، والمغلوب ثائر .

وقيل : احذر فلتات المِزاح ، فسقطة الاسترسال لا تقال .

ولكن ما جاء عن الرسول ﷺ وأصحابه أحق أن يُتبع ، وهو يمثل التوازن والاعتدال .

وقد قال لحنظلة حين فزع من تغير حاله في بيته عن حاله مع رسول الله ﷺ ، واتهم نفسه بالنفاق : «يا حنظلة لو دمتم على الحال التي تكونون عليها عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» [1] ، وهذه هي الفطرة ، وهذا هو العدل .

روى ابن أبي شيبة ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحزقين ولا متماوتين . كانوا يتناشدون الأشعار ، ويذكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحدهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون [2] .

والتحزق كما يقول الإمام الخطابي : التجمع وشدة التقبض .

وفي النهاية لابن الأثير : متحزقين : أي منقبضين ومجتمعين .

وسئل ابن سيرين عن الصحابة : هل كانوا يتمازحون ؟ فقال : ما كانوا إلا كالناس . كان ابن عمر يمزح وينشد الشعر [3] . وابن عمر هو من هو ، في ورعه وجده وتشدده .

وبهذا يكون موقف أولئك النفر من المتدينين أو المتحمسين للدين ، وعبوسهم وتجهمهم الذي ذكره الأخ السائل ، لا يمثل حقيقة الدين في شيء ، ولا يتفق مع هدي الرسول الكريم وأصحابه .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٨ / ١١٧) بلفظ «منحرفين» بدل «متحزقين» والتصويب من غريب الحديث للخطابي (٣ / ٤٩) .

(٣) رواه أبو نعيم في: «الحلية» (٢ / ٢٧٥) .

إنما يرجع إلى سوء فهمهم للإسلام ، أو لطبيعتهم الشخصية ، أو لظروف نشأتهم وتربيتهم .

وعلى كل حال ، لا يجهل مسلم أن الإسلام لا يؤخذ من سلوك فرد أو مجموعة من الناس ، يخطئون ويصيبون . فالإسلام حجة عليهم ، وليسوا هم حجة على الإسلام ، إنما يؤخذ الإسلام من القرآن والسنة الثابتة .

## تفسير النصوص الموهمة لخلاف ذلك :

وأما النصوص الدينية التي ذكرها السائل ، والتي فهم منها من فهم : أن الإسلام يدعو إلى الحزن والاكتئاب والتجهم ، فأود أن ألقي بعض الضوء عليها حتى لا نسيء فهمها ، ونخرجها عن الإطار الذي أريد بها .

فقوله تعالى على لسان قوم قارون له ناصحين : ﴿ **لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ** ﴾ [القصص: ٧٦] لا يفهم منه ذم الفرح بإطلاق ، فقد قال تعالى : ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس: ٥٨] .

وقال ﷺ : « للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه » متفق عليه [١] .

بل الفرح المراد هنا ـ كما يدل عليه السياق ـ هو فرح الأشر والبطر والغرور والانتفاخ الذي ينسي صاحبه فضل الله عليه ، وينسب كل فضل إلى نفسه ، كما قال قارون عن ماله : ﴿ **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي** ﴾ [القصص:٧٨] فهو فرح بغير الحق ، كذلك الذي بكّت به القرآن المشركين حين قال لهم بعد دخولهم النار : ﴿ **ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ** ﴾ [غافر:٧٥] .

وهو أشبه بفرح الذين سألهم النبي ﷺ من اليهود عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، وخرجوا من عنده فرحين بما صنعوا من الكتمان والكذب ،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم (١٩٠٤) ومسلم في كتاب الصيام (١١٥١) عن أبي هريرة .

ولم يكتفوا بذلك ، بل طلبوا الحمد على أنهم سئلوا فأجابوا بالحقيقة ، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ **لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [آل عمران:١٨٨] (١).

ومثل ذلك فرح الذين غرهم علمهم المادي ، فوقفوا عنده ، ورفضوا ما جاء به الوحي ، وفيهم جاء قول الله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [غافر: ٨٣] .

وأما قوله ﷺ : « لا تكثر من الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب »(٢) فالحديث واضح الدلالة على أن المنهي عنه ليس مجرد الضحك ، بل كثرته ، وكل شيء خرج عن حده انقلب إلى ضده .

وأما وصفه ﷺ « بأنه متواصل الأحزان »(٣) فالحديث ضعيف ، والضعيف لا تقوم به حجة .

ويعارضه الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ، أنه كان ﷺ يستعيذ بالله من الهم والحزن (٤) .

على أن ذلك الحديث لو صح لأمكن تأويله أنه كان يمسي ويصبح وهو مشغول بهموم دعوته ، وهموم أمته ، وما أكثرها ، بالإضافة إلى هَمِّ الآخرة وأهوالها .

ولكنه مع هذا لم يضق قلبه الكبير عن المزاح والمداعبة ، وإعطاء الفطرة حقها ، والناس حقوقهم ، وهذه هي الإنسانية الكاملة ، والأسوة المُثْلى .

## الحزن عند بعض المتصوفة :

وقد ذهب بعض المتصوفة وأرباب السلوك إلى أن (الحزن) منزلة تطلب لأهل

---

(١) إشارة إلى ما رواه البخاري في التفسير (٤٥٦٨) ومسلم في التفسير (٢٧٧٨) عن ابن عباس .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٣٦٣) عن أنس .

الطريق . وقال أبو عثمان الحيري [1] : الحزن بكل وجه فضيلة ، وزيادة للمؤمن ، ما لم يكن يسبب معصية ، لأنه إن لم يوجب تخصيصا ، فإنه يوجب تمحيصا ! وخالفه أرباب السلوك عامة ، واعتبروا (الحزن) محنة وبلاء من الله ينزل بالإنسان ، بمنزلة المرض والهم والغم ، وأما أنه من منازل الطريق ، فلا .

وقد عرض لذلك شيخ الإسلام الهروي في رسالته الشهيرة (منازل السائرين إلى مقامات « إياك نعبد وإياك نستعين») التي شرحها ابن القيم شرحا موسعا بكتابه (مدارج السالكين) فقال رحمه الله : ومن منازل (إياك نعبد وإياك نستعين ) : منزلة (الحزن) !

## رد ابن القيم على هذا التوجه :

وعلّق عليه الإمام ابن القيم بقوله :

وليست من المنازل المطلوبة . ولا المأمور بنزولها ، وإن كان لا بد للسالك من نزولها .

ولم يأت الحزن في القرآن إلا منهيا عنه . أو منفيا .

فالمنهي عنه : كقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا ﴾ [آل عمران:١٣٩] وقوله : ﴿ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [النحل:١٢٧] ، [النمل:٧٠] في غير موضع ، وقوله : ﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠] ، والمنفي كقوله ﴿ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٣٨] .

وسر ذلك : أن (الحزن) موقف غير مسيِّر (أي لا يساعد على السير في الطريق) ، ولا مصلحة فيه للقلب . وأحب شيء إلى الشيطان : أن يحزِّن العبد ليقطعه

---

(١) نقل ذلك ابن القيم فى مدراج السالكين (١ / ٥٠٧) طبعة السنة المحمدية ، تحقيق الشيخ : محمد حامد الفقى .

عن سيره ، ويوقفه عن سلوكه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [المجادلة:١٠] ، ونهى النبي ﷺ الثلاثة «أن يتناجى اثنان منهم دون الثالث ، لأن ذلك يحزنه» [١] .

فالحزن ليس بمطلوب ، ولا مقصود ، ولا فيه فائدة . وقد استعاذ منه النبي ﷺ ، فقال : «اللهم إني أعوذ بك من الهَم والحزن» [٢] فهو قرين الهم . والفرق بينهما : أن المكروه الذي يَرِد على القلب ، إن كان لما يستقبل : أورثه الهمّ ، وإن كان لما مضى : أورثه الحزن . وكلاهما مضعف للقلب عن السير . مفتِّر للعزم .

ولكن نزول منزلته ضروري بحسب الواقع . ولهذا يقول أهل الجنة إذا دخلوها: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ [فاطر:٣٤] فهذا يدل على أنهم كان يصيبهم في الدنيا الحزن ، كما يصيبهم سائر المصائب التي تجري عليهم بغير اختيارهم .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة:٩٢]. فلم يمدحوا على نفس الحزن ، وإنما مدحوا على ما دل عليه الحزن ، من قوة إيمانهم ، حيث تخلفوا عن رسول الله ﷺ لعجزهم عن النفقة . ففيه تعريض بالمنافقين الذين لم يحزنوا على تخلفهم ، بل غبطوا نفوسهم به .

وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح : «ما يصيب المؤمن من هم ولا نصب ، ولا حزن إلا كفر الله به من خطاياه» [٣] فهذا يدل على أنه مصيبة من الله يصيب بها العبد ، يكفر بها من سيئاته . لا يدل على أنه مقام ينبغي طلبه واستيطانه .

وأما حديث هند بن أبي هالة ، في صفة النبي ﷺ : «أنه كان متواصل الأحزان» [٤] فحديث لا يثبت . وفي إسناده من لا يعرف .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستئذان (٦٢٨٨) ومسلم في كتاب السلام (٢١٨٣) من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه البخاري في كتاب المرض (٥٦٤٢) ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٧٣) من حديث أبي هريرة .

(٤) سبق تخريجه .

وكيف يكون متواصل الأحزان ، وقد صانه الله عن الحزن على الدنيا وأسبابها ، ونهاه عن الحزن على الكفار ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فمن أين يأتيه الحزن ؟

بل كان دائم البشر ، ضحوك السن [1] صلوات الله وسلامه عليه .

وأما الخبر المروي : « إن الله يحب كل قلب حزين »[2] فلا يعرف إسناده ، ولا من رواه ، ولا تعلم صحته .

وعلى تقدير صحته : فالحزن مصيبة من المصائب ، التي يبتلي الله به عبده . فإذا ابتلى به العبد فصبر عليه ، أحب صبره على بلائه .

وأما الأثر الآخر : « إذا أحب الله عبدا ، نصب في قلبه نائحة . وإذا أبغض عبدا جعل في قلبه مزمارا» فأثر إسرائيلي ! قيل : إنه في التوراة . وله معنى صحيح . فإن المؤمن حزين على ذنوبه ، والفاجر لاه لاعب ، مترنم فرح .

وأما قوله تعالى عن نبيه إسرائيل (يعقوب) : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف:٨٤] فهو إخبار عن حالة مصابه بفقد ولده ، وحبيبه ، وأنه ابتلاه بذلك كما ابتلاه بالتفريق بينه وبينه [3] . انتهى .

---

(١) قال عبد الله بن الحارث بن جزء : ما رأيت أكثر تبسما من النبي ﷺ . رواه أحمد في المسند (١٧٧٠٤ ، ١٧٧١٣ ، ١٧٧١٤) وقال محققو المسند : حديث حسن . ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١٤٥) والترمذي في «السنن» (٣٦٤١) وفي «الشمائل» (٢٢٧) والبيهقي (٨٠٤٧) .

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٨٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٤ / ٣٥١) ، والبيهقي في «الشعب» (٨٩٢) وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠ / ٣٠٩) وقال إسناده حسن . وقال المناوي في «فيض القدير» : وفيه إسماعيل بن أبي زياد الشافعي ، قال في الميزان : قال الدارقطني : متروك يضع الحديث . «فيض القدير» (٢ / ١٨٤) .

(٣) مدارج السالكين (١ / ٥٠٥ - ٥٠٧) طبعة السنة المحمدية ، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي .

## حدود المشروعية في الضحك والمزاح :

ومن هنا نقول : إن الضحك والمرح والمزاح : أمر مشروع في الإسلام ، كما دلّت على ذلك النصوص القولية ، والمواقف العملية للرسول الكريم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

وما ذلك إلا لحاجة الفطرة الإنسانية إلى شيء من الترويح يخفف عنها لأواء الحياة وقسوتها ، وتشعب همومها وأعبائها .

وفي هذا قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : روحوا عن القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة ، فإنها تمل كما تمل الأبدان [١] .

كما أن هذا الضرب من اللهو والترفيه يقوم بمهمة التنشيط للنفس ، حتى تستطيع مواصلة السير والمضي في طريق العمل الطويل ، كما يريح الإنسان دابته في السفر ، حتى لا تنقطع به .

وفي هذا يقول أبو الدرداء رضي الله عنه : « إني لأستجم نفسي بالشيء من الباطل ليكون أقوى لها على الحق» [٢] . ويقصد بالباطل : ما لا يقصد للمنفعة ، ولكن يُتَلهّى به .

فمشروعية الضحك والمرح والمزاح لا شك فيها في الأصل ، ولكنها مقيدة بقيود وشروط لا بد أن تراعى :

**أولها** : ألا يكون الكذب والاختلاق أداة الإضحاك للناس ، كما يفعل بعض الناس في أول إبريل ـ نيسان ـ فيما يسمونه (كذبة إبريل) [٣] .

ولهذا قال ﷺ : « ويل للذي يحدث فيكذب ، ليضحك القوم ، ويل له ، ويل له » [٤] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٢٤١) .

(٣)راجع ماكتبناه عن (كذبة إبريل) فى كتابنا فتاوى معاصرة (١ / ٦٣٨) .

(٤) رواه أحمد (٢٠٠٧٣ ، ٢٠٠٥) والدارمي (٢٧٠٢) وذكره الألباني في « صحيح الجامع» (٧١٣٦) .

وقد كان ﷺ : « يمزح ولا يقول إلا حقًا » [1] .

**ثانيًا** : ألا يشتمل على تحقير لإنسان آخر ، أو استهزاء به وسخرية منه ، إلا إذا أذن بذلك ورضي .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾. [الحجرات:١١] .

وجاء في الحديث الصحيح : « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » [2].

وذكرت عائشة أمام النبي ﷺ إحدى ضرائرها ، فوصفتها بالقصر تعيبها به ، فقال : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » [3] قالت : وحكيت له إنسانًا ـ أي قلدته في حركته أو صوته أو نحو ذلك ـ فقال : « ما أحب أني حَكَيْت أحدًا وأن لي كذا وكذا » [4] .

**ثالثًا** : ألا يترتب عليه تفزيع وترويع لمسلم .

فقد روى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال : حدثنا أصحاب محمد ﷺ ، أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فقام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ، ففزع ! فقال رسول الله ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا » [5].

وعن النعمان بن بشير قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ، فخفق رجل على راحلته ـ أي نعس ـ فأخذ رجل سهمًا من كنانته فانتبه الرجل ، ففزع ، فقال

---

(١) رواه أحمد (٨٧٢٣ ، ٨٤٨١) عن أبي هريرة وقال مخرّجو المسند : إسناده حسن . والترمذي (١٩٩٠) وصححه الألباني في « الصحيحة » برقم (١٧٢٦) عن أبي هريرة .

(٢) رواه مسلم فى البر والصلة (١٩٨٦) عن أبي هريرة .

(٣) رواه أبو داود فى الأدب (٤٨٧٥) والترمذى فى الأدب (٢٥٠٤) .

(٤) رواه أحمد (٢٤٩٦٤) عن عائشة وقال مخرّجو المسند : إسناده صحيح على شرط مسلم ، وأخرجه ابن المبارك في مسنده (٢١) والبيهقي فى السنن (١٠ / ٢٤٧).

(٥) رواه أحمد (٢٣٠٦٤) وقال محققو المسند : إسناده صحيح ، ورواه أبوداود (٥٠٠٤) والبيهقي في السنن (١٠ / ٢٤٩) وفي الآداب (٤١١) .

رسـول الله : « لا يحل لرجل أن يروع مسلمًا » [1] . والسياق يدل على أن الذي فعل ذلك كان يمازحه .

وقد جاء في الحديث الآخر : « لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبًا ولا جادا » [2].

**رابعًا** : ألا يهزل في موضع الجد ، ولا يضحك في مجال يستوجب البكاء ، فلكل شيء أوانه ، ولكل أمر مكانه ، ولكل مقام مقال . والحكـمة وضـع الشـيء في موضعه المناسب .

ومن ممادح الشعراء :

**إذا جد عند الجِد أرضاك جده وذو باطل إن شئت أهلك باطله !**

والباطل هنا يقصد به اللهو والمرح .

وقال آخر :

**أهازل حيث الهزل يحسن بالفتى وإني إذا جد الرجال لذو جد !**

وقد قال أبو الطيب :

**ووضع الندي في موضع السيف بالعلا مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى**

وفي الحـديث : « ثـلاث جِـدهن جِـد ، وهـزلهن جِـد : النكـاح والطـلاق والعتـاق » [3] .

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» ورجال الكبير ثقات (٦ / ٢٥٤) وروى أبو داود نحوه . انظر : المنتقى (٢ / ٢٦٣) ، وذكره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٠٦) .

(٢) رواه أحمـد (١٧٩٤٠ ، ١٧٩٤١) وقـال محققـو المسـند : إسـناده صـحيح رجالـه ثقـات ، والبخـاري في «الأدب المفـرد» (٢٤١) والترمـذي (٢١٦٠) وقـال : حسـن ، وحسـنه الألبـاني في « إرواء الغليل » (١٥١٨) .

(٣) رواه ابن ماجه (٢٠٧١) وأبو داود (٢١٩٤) والترمذي (١١٨٤) عن أبي هريرة وحسنه الألباني في « إرواء الغليل » (١٨٢٦) . وفيه كلام ذكرناه في الجزء الأول من كتابنا « تيسير الفقه للمسلم المعاصر » ص ٥٣ وما بعدها .

وقد عاب الله تعالى على المشركين أنهم كانوا يضحكون عند سماع القرآن وكان أولى بهم أن يبكوا ، فقال تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ [النجم:٥٩-٦١] .

كما أنكر عليهم ضحكهم من المؤمنين ، استهانة بهم ، وسخرية منهم ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ [المطففين:٢٩-٣١] .

وعاب على المنافقين فرحهم وضحكهم لتخلفهم عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، وافتعالهم الأعذار الكاذبة للقعود مع الخوالف ، فقال تعالى : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لاَ تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَراً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾. [التوبة:٨١-٨٢] .

**خامسًا** : أن يكون ذلك بقدر معقول ، وفي حدود الاعتدال والتوازن ، الذي تقبله الفطرة السليمة ، ويرضاه العقل الرشيد ، ويلائم المجتمع الإيجابي العامل ، ولا يطغى على الحقوق المفروضة لله وللناس .

والإسلام يكره الغلو والإسراف في كل شيء ، ولو في العبادة ، فكيف باللهو والمرح ؟ !

ولهذا كان التوجيه النبوي : «ولا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» [1] فالمنهي عنه هو الإكثار والمبالغة .

وقد ورد عن علي رضي عنه قوله : «أعط الكلام من المزح ، بمقدار ما تعطي الطعام من الملح» .

وهو قول حكيم ، يدل على عدم الاستغناء عن المزح ، كما يدل على ضرر الإفراط فيه .

---

(١) سبق تخريجه .

والمبالغة هي التي يُخشى من ورائها الإلهاء عن الأعباء ، أو تجريء السفهاء ، أو إغضاب الأصدقاء ، ولعل هذا المراد من حديث : « لا تمار أخاك ولا تمازحه »[1]. وإن كان في الحديث ضعف .

فالمبالغة في المزاح كالمماراة ، كلتاهما تؤدي إلى إيغار الصدور .

وقال سعيد بن العاص لابنه : « اقتصد في مزاحك ، فالإفراط فيه يذهب البهاء ، ويجرئ عليك السفهاء ، وتركه يقبض المؤانسين ، ويوحش المخالطين »[2] .

وخير الأمور هو الوسط دائمًا ، وهو نهج الإسلام وخصيصته الكبرى ، ومناط فضل أمته على غيرها . وهو الصراط المستقيم الذي ندعو الله أن يهدينا إليه ، ويثبتنا عليه في الأقوال والآراء والأعمال والمواقف ، اللهم آمين .

ويحسن بي : أن أضيف هنا سطورا مما كتبته عن فن الفكاهة والمرح أو (الكوميديا) كما يسمونها اليوم ، في رسالتي عن (الإسلام والفن) وفيها :

الحياة رحلة شاقة ، حافلة بالمتاعب والآلام ، ولا يسلم امرؤ فيها من تجرع لون أو ألوان من غصصها ، ومكابدة آلامها، وإن وُلِد وفي فمه ملعقة من ذهب، كما يقولون .

وقد أشار القرآن إلى ذلك حين قال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:٤].

وأهل الإيمان أكثر تعرضا لبلاء الدنيا من غيرهم ، نظرا لخطورة مطلبهم ، من ناحية ، وكثرة من يعارضهم ويقطع عليهم طريقهم من ناحية أخرى .

حتى ورد في بعض الآثار : « المؤمن بين خمس شدائد : مسلم يَحسده ، ومنافق يَبغضه ، وكافر يُقاتله ، وشيطان يُضله ، ونفس تُنازعه »[3] .

---

(١) رواه الترمذي (١٩٩٥) والبخاري في الأدب المفرد (٣٩٤) عن ابن عباس ، وضعفه الألباني في « ضعيف الأدب المفرد » (٥٩) .

(٢) فيض القدير (٣ / ١٣) بلفظ : قال حكيم لابنه : يا بني اقتصد في مزاحك ، فالإفراط فيه يذهب البهاء ، ويجرئ عليك السفهاء ، والتقصير فيه نقص بالمؤانسين ، وتوحش بالمخالطين .

(٣) أورده الغزالي في (الإحياء) وقال الحافظ العراقي : رواه أبوبكر بن لال في « مكارم الأخلاق » من حديث أنس بسند ضعيف .

وثبت في الحديث أن أشد الناس بلاء : «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» [1] .

لهذا كان الناس ـ كل الناس ـ في حاجة إلى واحات في طريقهم ، تخفف عنهم بعض عناء رحلة الحياة ، وكان لا بد لهم من أشياء يروحون بها أنفسهم ، حتى يضحكوا ويفرحوا ويمرحوا ، ولا يغلب عليهم الغم والحزن والنكد ، فينغص عليهم عيشهم ، ويكدر عليهم صفوهم .

وكان من تلك الأدوات : الغناء ، وخصوصا في الأعراس والأعياد والمناسبات السارة .

ومنها : الفكاهة والمرح ، وكل ما يَستخرج الضحك من الإنسان ، ويُطارد الحزن من قلبه ، والعبوس من وجهه ، والكآبة من حياته .

فهل يرحب الدين بهذا الفن (الكوميدي) أو يضيق به ؟ هل يحله أو يحرِّمه ؟

## الفكاهة والمرح في واقع المسلمين :

وقد رأيت الناس ـ بفطرتهم ـ وعلى قدر ما سمحت به إمكاناتهم ، وفي ضوء ما عرفوه من سماحة دينهم ـ قد ابتكروا ألوانا من الوسائل والأدوات ، التي تقوم بوظيفة الترويح والإضحاك لهم .

## فن ( التنكيت ) :

من ذلك : «النكت» التي برع فيها المصريون ، واشتهروا بها بين الشعوب ، وهي أنواع مختلفة ، ولها مهمات متعددة ، ومنها : (النكت السياسية) التي تهزأ بالحكّام وأعوانهم ، وخصوصا في أوقات التسلط والاستبداد السياسي .

ولا يكاد يجلس الناس بعضهم إلى بعض إلا حكوا من هذه النكت ما يُضحكهم ويسري عنهم بعض ما يعانون . أحيانا يسندونها إلى أسماء معروفة ، مثل : جحا ، أو أبي نواس ، أو غيرهما ، وأحيانا لا ينسبونها إلى معيَّن .

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٦) وابن ماجه (٤٠٢٣) وابن حبان (٢٩٠٠) عن سعد بن أبي وقاص ، وذكره الألباني في الصحيحة (١٤٣) .

وليس من الضروري أن تكون النكت مخبرة عن واقع حقيقي ، بل قد تكون مختلقة ، كما يختلق القصاص والروائي الأحداث ؛ لينسج قصة قصيرة أو طويلة ، ولا يعتبر هذا من الكذب المحرم ؛ والناس يعلمون أن هذه الأحداث من نسج خيال الروائي الأديب . وكذلك النكت .

وهذا موجود لدى الشعوب عامة ، حتى إن كثيرا من النكت التي نسمعها في مصر عن (الصعايدة) وجدتها في باكستان يحكونها أو مثلها تماما عن (السيخ) .

وفي سوريا نجد نكتا عن أهل حلب وأهل حماة عن أهل حمص . وأهل البلدان المختلفة يتسامحون في العادة في إنشاء هذه النكت أو روايتها . حتى إني رأيت بعض (الصعايدة) ينكتون على (الصعايدة) . ومن هنا نقول : إن ما سمح به العرف من هذه النكات ، ولم يره جارحا ولا خارجا ، فلا بأس به. وإلا كان ممنوعا .

وهناك أناس لا يقتصرون على حكاية النكت عن غيرهم ، بل هم ينشئون نكتا على البديهة ، وهذا شأن الشخصيات الفكهة ، مثل : (أشعب) قديما ، ومثل : الشيخ (عبد العزيز البشري) حديثا في مصر .

ومما يحكونه عن الشيخ البشري : أن امرأة أعطته رسالة ليقرأها لها فلم يحسن قراءتها لرداءة الخط . فقال لها : يا خالتي ، لم أستطع أن أقرأها . فقالت له : رجل محترم بعمامة ، ولا يحسن أن تقرأ رسالة ؟ ! فوضع العمامة على رأسها ، وقال : هذه هي العمامة . اقرئيها أنت الآن ! !

وكانت في مصر بعض المجلات المتخصصة في هذا اللون ، أشهرها مجلة (البعكوكة) .

ويلحق بذلك فن (القفشات) وما يسميه المصريون (الدخول في قافية) ، وهو لون من استخدام المجاز والتورية حول موضوع واحد ، يتطارح فيه الطرفان .

ومن ذلك : ألوان من الألعاب التي تدعو إلى الضحك والمرح ، مثل لعبة (الأراجوز) .

ومثله : (خيال الظل) الذي كان يعتبر نوعا من التمثيل الشعبي الفكاهي .

ومن ذلك : الألغاز والأحاجي ، أو ما يسمى في لغة العامة (الفوازير) .

ومن ذلك : القصص الفكاهية ، أو ما يسميه العوام (الحواديت) المسلّية والمرفّهة .

ومن ذلك : (الأمثال الشعبية) التي كثيرا ما تتضمن أفكارا أو تعبيرات تبعث على الضحك والمرح ...

إلى غير ذلك من الألوان ، التي تخترعها الشعوب بوساطة فنانين معروفين أو مجهولين غالبا ، ملائمة لكل بيئة وما يسودها من قيم ومفاهيم ، وما تمر به من ظروف وأحوال .

وكل عصر يضيف أشياء جديدة ، ويطور الأشياء القديمة ، وقد يستغني عن بعضها .

كما نرى في عصرنا فن (الكاريكاتير) الذي حوَّل النكتة من مجرد كلمة تُقال ، إلى صورة معبِّرة ، مصحوبة ببعض الكلام ، أو غير مصحوبة .

* * *